

كلمة على الهامش

للأستاذ علي الطنطاوي

—>>><<<—

أنا لا أحب أن أنزل إلى ميدان المناظرة بين الأستاذين الفحلين شاكر والمریان ، والأستاذ قطب ؛ لأنه لا يقوم لأحدهما ببله أن يعينهما عليه معين ، على أن الحق لعمرى يعينهما . ومع الحق بيان يجلو الحق ، ولنة نعمة كأن فيها روحاً من روح الرافعي رحمه الله ، ولهذا البيان قراء يبلغون مائة ألف انعدت قلوبهم على محبة الرافعي وإجلاله ، وآمن منهم من آمن بأن الرافعي رجل لم يكتب بالعربية من هو أبغ منه بلاغة ... فما حاجة ضيف مثل أن ينزل إلى الميدان ؟

وفيم الخلاف ؟ في (انسانية) الرافعي ! ...

الأستاذ قطب يشك في (انسانية) الرافعي ... أي أنه يشك

في أنه انسان ، فإذا يكون إذن ؟

ثم ماذا ؟ ثم انه (على رأى سيد قطب) تنقصه العقيدة والمقيدة مشتقة من المقد ، قال في اللسان : عقد قلبه على الشيء لزمه ... واعتقد كذا بقلبه أي رآه ، فلا بد إذن لتمام كلمة الأستاذ قطب من أن يبين الشيء الذي ينقص الرافعي رضى الله عنه اعتقاده ، وإلا فكلامه لا معنى له في العربية .. فهل ينقص الرافعي المقيدة في الدين ، أو في الوطنية ، أو ينقصه اعتقاد مذهبه في الأدب . أو ماذا ؟

أوهي الفاظ تساق ولا يدري لساقها غاية إلا التهويل بها على القراء ؟

هذه مسألة لا يصح أن يكون عليها خلاف ، أو تدور عليها رضى مناظرة ...

أما جوهر الخلاف بين أدب الرافعي وشعر العقاد ، فهو الخلاف بين الأسلوب الذي يتمد على البيان والصحة والصدانة والجمال ، وبين الأسلوب الذي يستند إلى اللحن المبتكر ، والصور الجديدة ، لم يظهرها لفظ قوى ، ولا أداء مستقيم . فالعقاد في شعره مبتكر مجدد ، ولكنني أشبهه ألقاظه وهي تحمل معانيه ، بصبيان ضماف مهازبل ، يحملون الصخور المتظلمة فتسحقهم

وعوتون تحت أثقالمها ... كما أني أجد من الأساليب ما أشبه ألقاظه ومعانيه بمخالفة ضخام ، ولكنهم يحملون حفنة من المعنى فالخلاف إذن على اللفظ والمعنى ، هذه المشكلة التي تكلم فيها الجاحظ ، ولم ينته القول فيها بمد . على ان في إطلاق اللفظ والمعنى تجوزاً ، لأنه يستحيل أن يكون في الوجود لفظ بلا معنى ، من يذكر كلمة السماء ولا يتصور هذه القبة الزرقاء ، أو يسمع اسم الكتاب ولا يذكر هذه الصحف المجموعة ؟ كما يستحيل أن يكون معنى بلا لفظ ، لأن هذا المعنى يبقى خاطراً هاجساً في نفس صاحبه لم يدخل نطاق الأدب . ولكن الكلام في قطعتين أدبيتين ، إحداها تزدان بالتعبير الجليل ، والأسلوب البارع ولكنها تصف شيئاً تافهاً ، أو تدور على معنى سخيف ، والثانية يتصور صاحبها ناحية من نواحي النفس البشرية ، أو ظاهرة من ظواهر الكون ، فتجيد التصور ولكنه يعجز عن التصوير ، فأى هاتين أسى مقاماً وأدنى إلي الأدب الخالص ؟

هذه هي المسألة !

أما المتقدمون من نقدة الأدب العربي فأكثرهم على أن المعاني على قوارع الطرق ، وإنما يتفاضل الناس بالألفاظ . وليس معنى هذا احتقار المعنى وتهوين شأنه ، فإن للمعنى المقام الأول عند نقادنا . ونستطيع أن نقرأ الفصل القيم الذي عقده الامام الجرجاني في الدلائل ، ولكن معناه أن الشعور بالجمال عام ، ولكن الناس يتفاضلون بالتعبير عنه ؛ إذا نظر جماعة من الناس إلى منرب الشمس في البحر ، أو بزوغ البدر من وراء الجبل ، أدركوا جميعاً جمال ما يرون (وإن كان كل يدرك على نسبة استعداده وهوى نفسه) ، وإن وقف جماعة في موقف الوداع أحسوا جميعاً بالألم ينمر نفوسهم ، ولكن هذا الإدراك وهذا الاحساس لا يسميان أدباً ، وإنما الأدب هو الصيغة اللفظية التي يعبر بها عن هذا الاحساس ؛ وعلى مقدار التوفيق في هذه الصياغة تكون قيمة القطعة الأدبية

هذا هو الحق ، ولكن هذه الفئة من المجددين ، أرادت حين عجزت عن الأداء المستقيم والصياغة البارعة والديباجة الصافية أن تقلل من قيمتها وتمحورها ، وتسمى كل أديب يعرف لفته حقها وكل أديب آناه الله ملكة قوية ، تسميه سطحياً فارغاً . ولقد

قلبه في سوق المجوهرات من الذهب والألماس معتقداً أن تلك
المادن أئمن من القلوب لأنها تقوم بالمال الكثير في السوق) —
مع أن الأستاذ قطب يدعى في رأس مقاله بأنه أفهم لأدب الرافعي
من الأستاذ العريان، فهو إذن يعتمد أن يتظاهر بأنه لم يفهم هذين
البيتين لغرض في نفسه... ولا حيلة لنا معه في ذلك !
والأنكى من ذلك كله... أن ينقص هذا البيت الذي يمدل

والله قصيدة، بل ديواناً من دواوين النزل :
قلبي يحب وإعنا أخلاقه فيه ودينه
إن انتقاد هذا البيت وتشديده وما بعده بالخطب التبرية الجافة
تحقير للحب، وتنزيل له إلى حيث يخالف الدين والأخلاق حتماً،
ودعوى ضمنية بأن الحب لا يستطيع أن يحتفظ بخلق ولا دين !

على أن الرافعي رحمه الله عيوباً ومزايًا . وليس إلا الله خالياً
من العيوب، والرافعي ملك للنقد، ولكن للنقد شرائط...
أولها أن يلقى الناقد عنه هواء، ويطرح بغضاه . فإن البغضاء
تدفع إلى الظلم، والهوى بمعنى ويصم !

على الظنطاري

دمشق

سندباد عصري

في سفينة مصرية
رددت أخبارها صحف العالمين
الإنسانية في سني مظاهرها تطالعك من صفحات

سندباد عصري

بقلم

حسين فوزي

١٢ قرشاً أطلبه اليوم من المكاتب ١٢ قرشاً

بلغ من فساد أذواق بعض هؤلاء المجددين أن قرأت مرة لواحد
منهم فصلاً يقدم به لكتاب، فوقع له فيه مجاز حلوا أحسست
لما قرأته بمثل ما أحس به حين تطلع على من الطريق فتاة جميلة،
وعجبت له من أين جاء به، ولكن عجبى قد بطل حين رأيته يمتدح
منه، ويريد أن يواريه كما يوارى المرء سواته، لأنه — زعم —
يكون (سلواناً) إذا جاء بمجاز حلوا، فليتصور القارىء أى شيء
يكون الأدب إذا طرح المجاز واقتصر على الحقيقة ؟

هذا سر الخلاف في رأيي . والرافعي رضي الله عنه، بلغ في
هذه الصناعة، وفي توليد المعاني، وفي نخل الألفاظ وتصفية
الديباجة ما لم يبلغه كاتب عربي، فلا عجب إذا أبغضه خصوم
البيان العربي

والعجب من الأستاذ سيد قطب ! يأتي أن يناقش الأستاذ
العريان لأنه لم يأت على أغراضه بدليل... ثم ينقد أحياناً للرافعي
يقطر ماء الملاسة من أعطافها، وتنطق كل كلمة فيها بألم صاحبها
في حبه، وعذابه في غرامه، حين سمع أن للحب لينا ووصالاً،
ولكنه لم ير إلا قساوته وجفاءه، فهو يسأل المحبين كيف يكون
هذا اللين، وينظر حوله فإذا قد (فضى كل ذي دين فوق غريمه)
فيأسي وبألم لنفسه أن بقيت ديونه وحدها لم توف . ثم يمد يده
ينظر هل من مسمد أو من معين، ولكنه لا يريد مساعدة ولا
عوناً، هو هاني بالحب لأن الحب أهناه حزينه، قال :

من للحب؟ ومن يئنيه؟ والحب أهناه حزينه
أنا ما عرفت سوى قساوته فقولوا كيف لينه
ان يقض دين ذوى الهوى فأنا الذي بقيت ديونه
فلا يجد تقدماً لهذه الأبيات الثلاثة (ونالها مأخوذ من بيت
كثير المشهور، لم يتنبه لذلك سيد قطب) إلا أنها تقليد لشعراء
الدول المتأخرة والماليك في مصر...

هذا هو النقد الفنى عند الأستاذ سيد قطب !

ويقول الرافعي رضي الله عنه :

قلبي هو الذهب الكريم فلا يفارقه رنينه
قلبي هو الألماس به رف من أشمته ثمينه
فلا يفهم سيد قطب من هذا التشبيه البليغ إلا (أنه يذكر